

طموح البلاد الى الاستقلال التام والوحدة العربية»^(٤٢). ورأى بعض الباحثين بأن المطالبة بالاستقلال في إطار الوحدة العربية كان يمثل، في ظروف تلك المرحلة، «هروباً الى أمام»، خصوصاً وأن الاقطار العربية الاخرى كانت على أعتاب الحصول على شكل من أشكال استقلالها الوطنية. ومهما يكن، فقد فرض تطور الاحداث اللاحق على الوطنية الفلسطينية ان تفصل الاستقلال عن الوحدة العربية، ودفعها، في محاولة منها لقطع الطريق على مشروع التقسيم الذي طرحته لجنة بيل البريطانية في تموز (يوليو) ١٩٣٧، الى دعوة عصابة الامم الى الغاء الانتداب البريطاني لتحل محله دولة فلسطينية مستقلة، ترتبط مع بريطانيا بمعاهدة تضمن لهذه الاخيرة مصالحها المعقولة، كما تضمن مصالح الاقلية اليهودية في البلاد^(٤٣). وعندما تبنت بريطانيا فكرة قيام دولة فلسطينية مستقلة تحت حمايتها، على أساس «الاستقلال المؤجل» لمدة عشر سنوات، كما ورد في «الكتاب الأبيض» البريطاني للعام ١٩٣٩، تصدى الحاج أمين الحسيني للميل الواضح والغالب، في إطار الوطنية الفلسطينية، لاتخاذ موقف ايجابي من هذه الفكرة، وذلك لأنه كان يترقب، آنذاك، اندلاع الحرب «ويراهن على أن دول المحور سوف تنتصر فيها، ولم يشأ، بالتالي، ان يهادن بريطانيا في وقت كهذا، بل اتجه الى التعاون مع ألمانيا»^(٤٤).

ورأى بعض الباحثين بأن من أسباب تخبط الوطنية الفلسطينية وافتقادها لزماد المبادرة تجاه مستقبل فلسطين واستقلالها، عجزها عن تقديم حلول ديمقراطية لمسألة الوجود اليهودي في فلسطين، يتجاوز الاقرار بشرعية وجود نسبة الـ ٧ بالمئة من اليهود، الذين كانوا يقطنون في البلاد قبل الحرب العالمية الاولى. وعندما أجريت الموافقة، بعد اندلاع ثورة العام ١٩٣٦، على مشاريع للاستقلال، يتمثل فيها اليهود بنسبة عددهم الى مجموع السكان، كان الوقت قد فات، حيث اقترب عدد اليهود من نصف مليون، وصاروا يمثلون ما يقرب من ثلث مجموع السكان، كما صارت مؤسساتهم تشكل دولة داخل الدولة^(٤٥). وفيما بعد، لم تدرك الوطنية الفلسطينية التغيرات العميقة التي أحدثتها الحرب العالمية الثانية، والتي حولت المهاجرين اليهود الى قومية محددة الملامح والى قوة اقتصادية وسياسية كبيرة، وخلقت أجواء من التعاطف الدولي الواسع مع اليهود، كما لم تنتبه الى خطورة التوجه الذي أقر في مؤتمر الصهيونيين الاميركيين، في أيار (مايو) ١٩٤٢، لاقامة دولة يهودية في فلسطين، تكون جزءاً عضوياً من «العالم الديمقراطي الجديد»، ذلك التوجه الذي صادق عليه المجلس العام للمنظمة الصهيونية العالمية في تشرين الثاني (نوفمبر) من العام نفسه، وكان ايذاناً ببدء انحياز هذه المنظمة الى الولايات المتحدة الاميركية^(٤٦).

دعامتا الحل

بقيام عصابة التحرر الوطني، خطا الفكر السياسي الفلسطيني خطوات كبيرة على طريق تحديد ملامح تصوره لمستقبل فلسطين، مدرجاً شعار الاستقلال، لأول مرة، في إطار حل ديمقراطي لـ «العقدة» الفلسطينية.

وكان شعار الاستقلال برز في برنامج الشيوعية الفلسطينية منذ ظهورها، إلا أنه اندرج، طوال مرحلة العشرينات، في إطار مشروع طوباوي كان يهدف الى ضمان انتصار الثورة الاشتراكية في فلسطين عبر تحقيق التضامن الكفاحي الاممي بين العمال اليهود والعرب «في معركتهم المشتركة ضد الاستغلال الرأسمالي والاضطهاد الاستعماري»^(٤٧). وقد بقيت هذه النزعة «اليسارية - الانعزالية» مسيطرة على توجهات الشيوعية، ولو أنها اتخذت أشكالاً جديدة في ضوء تطبيق خطة التعريب،